مادة النص الأدبي المعاصر **جميع التخصصات**

المستوى: السنة الثانية ليسانس **الأستاذ: بن زياني**

المحاضرة رقم:05

قصيدة التفعيلة

توطئة:

يعد شعر التفعيلة من مظاهر التجديد في الأدب العربي الذي ظهر في العصر الحديث، نتيجة لارتباطه بالتحول العميق الذي شهده الواقع العربي على الصعيد الاجتماعي والسياسي والأدبي، حيث يتميز شعر التفعيلة بخصائص شكلية وفنية تميزه عن الشعر العربي القديم.

وسنتعرف في هذه المحاضرة على هذا النوع الجديد من الشعر وبدايات ظهوره، وأهمّ العوامل التي أدت إلى ذلك، مع إبراز خصائصه الفنية.

1- **تعريف شعر التفعيلة:**

شعر التفعيلة هو الشعر الذي يتخذ التفعيلة أساساً عروضياً للقصيدة، وهو لا يتقيد بعدد معيّن من التفعيلات في السطر الواحد، إذ يشتمل السطر على تفعيلة واحدة أو أكثر، ويخرج هذا الشعر عن مبدأ تساوي الأسطر، ولا يلتزم بقافية واحدة في كامل القصيدة، ومن أسمائه: شعر التفعيلة، الشعر الحر، الشعر المرسل، الشعر الجديد، الشعر المطلق.

تعرف نازك الملائكة الشعر الحرّ في قولها:" وهو شعر ذو شطر واحد ليس له طول ثابت، وإنّما يصح أن يتغيّر عدد التفعيلات من شطر إلى شطر، ويكون هذا التغيير وفق قانون عروضي يتحكم فيه".

وذهب بعضهم إلى أن شعر التفعيلة هو التسمية الصحيحة لهذا اللّون، على أساس أنه ليس شعرا حرا تماما مثل قصيدة النثر، وإنما هو موزون وإن اختلفت أوزانه أحيانا، ومقفى وإن تغايرت قوافيه أحيانا أخر، إلا أنه لا يعتمد نظام الأبيات الشعرية المكونة من الأشطر، وإنما أبياته سطور، فقد يحوي السطر على تفعيلة واحد أو على اثنتين أو على ثلاثة وقد يصل إلى ست تفاعيل، والسطر الثاني به عدد يخالف السابق واللاحق وهكذا، مثل هذا النسق الشعري لبحر الرمل:

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

فاعلاتن فاعلاتن

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

فاعلاتن

فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن

فاعلاتن فاعلاتن.

ويمضي هذا النسق حرا في اختيار عدد التفعيلات في الشطر الواحد، غير خارج على القانون العروضي لبحر الرمل.

2- بداية ظهور شعر التفعيلة:

كان الظهور الأول لشعر التفعيلة في العراق على يد الشاعرة **نازك الملائكة(1923-2007)** في قصيدتها **(الكوليرا)** وهي من الوزن المتدارك (فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن)، والتي نشرتها عام 1947م، وهي من أشهر قصائد الشعر الحرّ التي كتبتها نازك، تحدثت فيها عن مأساة الشعب المصري، تقول في مطلعها:

سكَن الليلُ

أصغِ إلى وَقْع صَدَى الأنَّاتْ

في عُمْق الظلمةِ تحتَ الصمتِ على الأمواتْ

صَرخَاتٌ تعلو تضطربُ

حزنٌ يتدفقُ, يلتهبُ

يتعثَّر فيه صَدى الآهاتْ

في كل فؤادٍ غليانُ.

وهناك من يرى أن هذا النوع من الشعر الجديد، جاء على يد الشاعر **بدر شاكر السياب (1926-1964)** في ديوانه (أزهار دابلة) وفيه قصيدة حرّة الوزن له من بحر الرمل(فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن) عنوانها **(هل كان حبًّا)** عام 1947م، التي يقول في مطلعها:

هل تُسمّينَ الذي ألقى هَيَامًا ؟

أَمْ جنوناً بالأماني ؟ أم غَراما ؟

ما يكون الحبُّ ؟ نَوْحاً وابتساما ؟

أم خُفوقَ الأضلعِ الحَرّى ، إذا حانَ التلاقي

بين عينينا ، فأطرقتُ ، فِراراً باشتياقي

عن سماءٍ ليس تسقيني ، إذا ما ؟

وقد أثارت قضية الريادة لهذا الشعر الجديد جدلاً بين الشعراء أنفسهم وبين النقاد أيضًا، وانقسموا إزاء ذلك إلى فريقين، منهم من ينتصر لنازك ومنهم من ينتصر لسياب، إذ" يرى صالح عبد الغني كبة أنّ نازك

الملائكة هي أوّل من نظم القصيدة الحرّة، وأكد كاظم جواد أنّ قصيدة (هل كان حبًا) للسياب هي أوّل قصيدة في الشعر الحرّ". ومهما يكن فقد أصبح الشعر الحرّ ظاهرة أدبية، ويصير له نظام ومنهج وتوضع لدراسته كتب تؤرخ لبداياته، ويكتب عن مصطلحه، وعن الأسباب التي دعت إليه، فتضع نازك الملائكة أوّل كتاب نقدي لهذه الظاهرة عنوانه (قضايا الشعر المعاصر).

ويكتب لهذا الشعر أن يقف على أرض ثابتة، وأن يكون له رواده من الشعراء، أمثال: نازك الملائكة، بدر شاكر السياب، صلاح عبد الصبور، محمود درويش، سميح قاسم، وغيرهم.

3-عوامل ظهور شعر التفعيلة: من بين أبرز عوامل ظهور شعر التفعيلة ما يلي:

-انتهاء الحرب العالمية الثانية وما جرى عنها من دمار سياسي واجتماعي ونفسي .
-انتماء الكثير من المثقفين العرب إلى التيارات والمذاهب السياسية والفكرية المختلفة .
-تأثر رواد هذه المدرسة بالشعر الإنجليزي، وخاصة شعر **إليوت** في قصيدته **(الأرض والخراب).**
-التأثر بالواقعية، إذ استطاع الشعر العربي تجاوز الرومانسية التي أعلت من قيمة الفرد، والتقيد بالواقع والقضايا الموضوعية .
-استيقاظ الوعي العربيّ، والثورة على الظلم بأنواعه المختلفة، والثورة على الجهل والفقر .

4- الخصائص الفنية لشعر التفعيلة :

- الابتعاد عن التناظر في القصيدة، أو ما يُعرف بنظام الشطرين، والاعتماد على وحدة التفعلية، ولكن دون التقيد بعدد معين للتفعيلات في الشطر الواحد، وينظّم شعر التفعيلة على نوعين من البحور هما :**البحور الصافية**، وهي: الكامل(متفاعلن متفاعلن متفاعلن)، والرمل(فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن)، والهزج(مفاعيلن مفاعيلن)، والرجز(مستفعلن مستفعلن مستفعلن)، والمتقارب(فعولن فعولن فعولن فعولن)، والمتدارك(فعلن فعلن فعلن فعلن)، **البحور الممزوجة** هما: السريع(مستفعلن مستفعلن فاعلن) والوافر(مفاعلتن مفاعلتن فعولن)، تقول نازك الملائكة:" والواقع أنّ نظم الشعر الحر بالبحور الصافية، أيسر على الشاعر من نظمه بالبحور الممزوجة".
- التحرر من نظام الروي والقافية، حيث إنّ شعر التفعيلة لا يلتزم بهما كما يلتزم بذلك الشعر العربيّ، وذلك لأنّ التزام الروي يدخل في التكرار والملل -في رأي شعراء التفعيلة- ويعطّل حرية الشاعر. والاعتماد على التدفق العاطفي واستعمال قوافٍ تُحقق الوحدة العضوية والموضوعية.
- قبول التدوير، وهذا يعني أنّه من الممكن أن يأتي جزء من التفعيلة في نهاية البيت، وجزء منها في بداية البيت الذي يتبعه.

- تأثر الموسيقى بالحالة النفسية للشاعر وليس بالوزن الشعريّ.
- توظيف الأسطورة والرموز كونهما وسيلتان وطريقتان للتعبير عن التجارب والمشاعر الخاصّة للشاعر أو ميله السياسيّ بطريقة يصعب على القارئ إدراك المقصود منها أحياناً.
- النزعة الدرامية التي تعتمد على رسم الشخصيات، والحوار، والسرد القصصيّ، حيث تعمل هذه الأمور على تجسيد التجربة الشخصية في إطار موضوعي.
- توظيف لغة سهلة بسيطة قريبة من المتداول في الحياة اليوميّة.